جامعة خميس مليانة

قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة السداسي الأول السنة الجامعية 2021 / 2022

المستوى: السنة الأولى ماستر – تخصص: فلسفة تطبيقية

المقياس: نظرية الدولة و النظم السياسية

النشاط: محاضرة

محاضرات في نظرية الدولة و النظم السياسية

المحاضرة الثانية: الفلسفة السياسية عند جماعة السفسطائيين

ظهرت جماعة السفسطائيين في وقت ازدهرت الديمقراطية في أثينا في زمن حكم " بيزاستراتوس "، و قد قامت بتلبية حاجة الناس إلى المعرفة بالوسائل الخطابية، و الجدل و حسن البلاغة و تعليم السياسيين سائر وسائل التأثير على الجماهير الشعبية، و اكتساب الأغلبية من الأصوات في المجالس الشعبية. لذلك فلم يكن اسم السفسطائي في البداية يحمل أي معنى دنيء، و إنما كان يعني الحكيم أو المعلم.

كان من أهم مبادئ الفلسفة السفسطائية التأكيد على الفردية، و الدولة في نظرهم تقوم على تعاقد الأفراد و اتفاقهم، لذلك قال " بروتاغوراس " أن القوانين من وضع الإنسان، و أن العدالة أمر تعاقدي، و أن الإنسان مقياس كل شيء، و من ثم فالنظم الإنسانية لا بد أن تتكيف مع مطالب الناس المتغيرة، و هي الفكرة التي لم يتقبلها " أفلاطون ": و قال أن العدالة قضية أبدية لا بد أن تفهم بالتفكير الخاص.

لقد رفض السفسطائيون نظام الرق كونه نظام من صنع البشر و ليس نظاما طبيعيا كما كان يروج له، و من خلال هذه القضية ناقش " بروتاغوراس " مسألة التعرض بين ما هو طبيعي و ما هو من الاتفاق في مجالي الأخلاق و السياسة، فأما ماهو من الاتفاق يكون نسبي متغير، بينما ما هو طبيعي يكون ثابت و مطلق، و على هذا الأساس ذهب السفسطائي " يوربيداس " إلى القول بأنه لا يوجد رقيق بالولادة أي بالطبيعة، و إنما ذلك من صنع المجتمع، فالفرق بين الأرقاء و الأحرار هو الاسم فقط، أما غير ذلك فهو غير موجود، فكل منهم يحمل روحا سليمة. و أكد هذا الكلام أيضا السفسطائي الخطيب " ألكيداماس " حيث قال بأن الله قد خلق جميع الناس أحرارا، و لم تجعل الطبيعة أي واحد منهم عبيدا، أما السفسطائي " أنطفون " فقد ذهب إلى حد أنكار الفرق المزعوم بين الإغريق و البرابرة.

و من جهة القوانين فقد ميز هذا الأخير بين القوانين الوضعية و القوانين الطبيعية. فالقوانين الوضعية فرضها المشرعون و هي قوانين ممكنة، متفق عليها، مكتسبة و متغيرة حسب ظروف الزمان و المكان، اما القوانين الطبيعية فهي قوانين ضرورية و حتمية، خارجة عن إرادة الناس، فهي تصدر عن طبيعة الأشياء، فهي ثابتة و مطلق و فطرية. و لهذا فكثيرا ما تتعارض قوانين الطبيعة مع القوانين الوضعية. و على هذا الأساس انتقد " أنطفون " القوانين التي تفرق بين الناس على أساس الأصل و الجنس، لذلك قال: " إننا نحترم الذين ولدوا من بيت عريق و نمجدهم، أما الذين لم ينشأوا من أصل نبيل فلا نحترمهم و لا نمجدهم، و في هذه الحالة لا يتصرف أحدنا يالنسبة لأحدنا الآخر تصرف المتحضرين بل المتبربرين، ما دامت الطبيعة قد حبت الناس جميعا بنفس المواهب، من جميع الوجوه سواء أكانوا يونانيين أم متبربرين. "[1]

[1]- أميرة حلمي مطر، **الفلسفة عند اليونان**، دار النهضة العربية- القاهرة،(د.ط) **1977**، ص 131.

الفلسفة السياسية عند سقراط

لقد حرص " **سقراط** " على ضرورة الالتزام بالقوانين و سياسة المدينة، و يعارض كل من يحاول التحرر من هذه القوانين، و التغيير فيها و التأكيد على فردية المواطن إزاء الدولة، كما فعلت جماعة السفسطائيين، و في هذا السياق عارض " سقراط " الديمقراطية باعتبارها أفسحت المجال لحرية الفرد للتعبير عن أراءه، حتى أصبح بإمكان أي مواطن أثيني أن يناقش قضايا و موضوعات سياسية و أخلاقية و عقائدية، و هذا الموقف السياسي انتهى به إلى الإعدام. ففي محاورة " الدفاع " يذكر " أفلاطون " أن " سقراط " امتنع أثناء رئاسته للجمعية الشعبية عن الموافقة على محاكمة قادة حملة " الأوريجينوساي "، و الذين تركوا الأسطول الأثيني يغرق في اليم بآلاف البحارة، لأن المحاكمة في رأي " سقراط " لم تكن قانونية، و يتضح لنا من خلال هذا الموقف أن " سقراط " مع تمسكه بحرفية القانون إلا أنه رفض تطبيقه و هذا يكون قد أثار شكوك المواطنين في مصداقية هذه المحاكمة، و اشتموا رائحة الخيانة في تصرف هؤلاء القادة، فكن ذلك صدمة عنيفة للديمقراطية.

و من جهة أخرى أثار " سقراط شكوكا في نفسه عندما جمع حوله فرق من الشباب الأثرياء من بينهم " أفلاطون "، و كان يحرضهم على التصدي لكثير من رجال الديمقراطية، خاصة طوائف الصناع و السياسيين و الفنانين، بحجة أنهم أعداء الحكمة، كما أنه اتهم أيضا بالكفر عندما تبين أنه لم يشارك في شعائر الديانة التي فرضها حكم الديمقراطية، و هذا يعتبر خيانة لديانة الشعب و الديمقراطية.

حارب سقراط تصور السفسطائيين للعدالة، و في رأيه أن القوانين صادرة عن العقل و من الواجب احترامها، لأن العقل صورة من صور الإرادة الإلهية، و القوانين الصادرة عنه هي قوانين إلهية، أودعها الله في قلوب البشر، فمن يحترم هذه القوانين و يلتزم بها كأنه يحترم النظام الإلهي و العقل الإلهي، و من ثم فهذه القوانين حقائق ثابتة متوارثة ينبغي المحافظة عليها دون تبديل أو تغيير، و هي عامة لكل المجتمعات. مثل هذه القوانين: بر الوالدين، تقديس الآلهة، عدم زواج المحارم و غيرها. و هكذا رأى " سقراط " أن القانون لا يتعارض مع العدالة الإلهية، لأنه رمز لها، و في هذا ما يؤكد اتجاهه إلى تقوية السلطان مقابل الحرية التي كان السفسطائيون يناضلون من أجلها.